مراحل الطّفولة وتعليمية الأدب

الدكتور يوسف عمر

البريد الإلكتروني: rafeithaer1@gmail.com

جامعة العربي التبسي – تبسة

كلية الآداب واللغات

الملخص

تعتبر دراسة الطّفولة ومراحلها المختلفة، من العوامل المهمّة والضّرورية لجميع من يتعامل مع الأطفال، وبخاصة في مجال ثقافة الطّفل، كالمعلّمين، الكُتّاب والأدباء، والشّعراء والمصمّمين من الرسّامين، والخطّاطين، وكلّ من كانت له صلة بالخدمات المكتبية الطّفلية وكذا المكتبات العامّة والمدرسية. إذ لابدّ لأيّ دارس أو مدرّس لأدب الطّفل، أن يكون على دراية بالمراحل التي يمرّ بها الطّفل تبعا لنموّه وتطوّر سنّه، للوقوف تفصيلا على كلّ متغيّرات النّمو في ظلّ علم نفس الطّفل العام، وعلم نفس النّمو الخاص، فضلا عن علوم التّربية ونظريات التعلّم الّتي تعتبر الحاضنة التي تفقس فيها مضامين أدب الطّفل.

وبسبب الاختلاف في الميول والحاجات والدّوافع لدى الأطفال في مراحل نموّهم المختلفة اقتضى الأمر تقنين الأدب المقدّم لهم، بحيث يتواءم في شكله ومضمونه مع تلك الظّواهر في كلّ مرحلة، ويمكّنهم من الفهم والتدبّر، ومن ثمَّ الانتقال من مرحلة دنيا إلى أخرى تالية دون صعوبات، وهو ما سنحاول دراسته في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: الطفولة، الأدب، الثقافة، التربية، الواقعية، الخيال.

Abstract

The examination of the various stages of childhood and the important factors necessary to all who deal with children, in particular in the field of children's culture, such as teachers, writers and literature, and hair and designers of painters, walkhtati, both connected to Office services sledge As well as public libraries and schools. As for any student or teacher of children's literature, to be familiar with the child's stages depending on the growth and development of the year, to stand at every detail in growth variables child psychology and developmental psychology, as well as on the day of education and learning theories which are the incubator hatch Where the contents of children's literature.

Because of the difference in attitudes, needs and motivations of children in their various stages of development, it is necessary to codify the literature presented to them, so that they fit in their form and content with these phenomena at every stage, and enable them to understand and manage, and then move from one minimum stage to another without difficulties. We will try to study it in this article**.**

Keywords: childhood, literature, culture, education, realism, imagination.

تمهيـد:

إنّ الطّفولة كالأرض البكر، ترتوي بما يساق إليها من ماء، إن عذُب هذا الماء أينعت وأثمرت وتهيّأت للقطاف، وإن تأجّج وتعكّر خبُثت وفسدت وتهيّأت لليباب ومن المعلوم أنّ الطّفل "هو البذرة التي يبذرها الإنسان في البيئة السّليمة ثمّ يتعهّدها بالعناية والرّعاية في ظروف سوية وملائمة، حتى تنبت نباتا حسنا وتؤتي ثمارا طيّبة وليس أسعد للمرء من أن يرى طفله سويّ الخَلْق والخُلُق، سالم العقيدة على نهج الفطرة وعلى هُدى مستقيم"[1] ولله درّ الشاعر صالح بن عبد القدّوس إذ يقول:

وإنَّ منْ أدّبته في الصّبا كالعود يُسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقا ناضـــرا بعد الذي أبصـــرت من يبســه[2]

وحينما نقّلب البصر نجد أنّ كلّ العلوم قد دسّت أُنُوفَها إلى عالم الطّفولة لكنّها كانت ولاتزال تعمل في تنافر ومعزل شبه تام عن بعضها؛ لأنّنا وكما يقال نعيش عصر النفرة في شتّى الميادين. وإزاء ذلك وبعد إرجاع البصر، استملحت أن أطلّ إطلالة مقتضبة فيما قالته العلوم عن الطّفولة، غير مدّع البحث في علم النفس دون غيره أو علم الاجتماع بمفرده، أو علم اللّغة بمنأى عن العلوم الأخرى، بل أردت أن أقف عند مرج بعض الشّواطئ "مع العلم أن التّعرّف على الطّفل عِلميًا، يتطلّب إضافة إلى ذلك دراسات متكاملة إذ ليس بالوسع فهم الطّفل من خلال أيّ واحد من هذه العلوم بمفرده وقولنا هذا لا يحمل الدّعوة إلى مزْج هذه العلوم معًا، بل هو يلحّ على ضرورة التّعاون المتبادل بينها كي يتهيّأ المجال لأَنْ تتقدّم العلوم المختلفة خطوات أوسع وتتّضح صورة الطّفل بشكل أدق"[3].

وفي ضوء الدّراسات الخاصّة بنمو الأطفال، اهتمّ علماء النّفس والتّربية والتعليم بالطّفل وقسّموا مراحل نموّه إلى تقسيمات عديدة، ومراحل متعدّدة، كل منها لها خصائص معيّنة تميّز الأطفال من النّواحي المعرفية والنّفسية، والعقلية والوجدانية "وبيّنوا ما يجب أن يُقدّم للطّفل في كلّ مرحلة من هذه المراحل أجْلَ الوصول إلى الهدف الّذي نسعى إليه جميعا وهو خلق الطّفل القارئ، الّذي سيكون هو الرّجل القارئ في المستقبل، والذي سيكون العالِم المبدع المبتكر والذي سيبني المجتمع"[4] وهذه التّقسيمات تُعِين على التّعرف على ما يميل إليه الأطفال، من الأدب الموجّه إليهم في شتّى فنونه، وما يتناسب معهم من الأفكار والموضوعات "وتتيح الوقوف على الطّفل نفسيا واجتماعيا وتهيّء وضع أسس سليمة لأساليب الاتّصال بهم تعليما وتربيّة وتثقيفا؛ وتحقيق الأهداف المبتغاة من هذه العمليّات" [5] الّتي تتجّه بالطّفل نحو البناء المتدرّج في النّمو من كلّ الجوانب حتى يصل إلى مرحلة النّضج.

وعلى الرّغم من ذلك نلاحظ أنّ علماء النّفس لم يتّفقوا على تقسيمات موحّدة لمراحل نمو الطّفل، الأمر الذي أدّى بهم إلى عدم الاتّفاق على بدايات ونهايات هذه المراحل فضلا على تداخلها زمنيا، واختلافها بين الأولاد والبنات بل واختلافها باختلاف الشّعوب أضف إلى ذلك أنّ معظم ما لدينا من دراسات وبحوث، هو من إنتاج العلماء الأجانب في أوساط غير أوساطنا، وعلى أطفال يختلفون كلّ الاختلاف عن أطفالنا في البيئة الاجتماعية، وألوان التّراث، وأوعية الثّقافة الّتي يكتسبها الأفراد من المجتمع بتقاليده وعاداته ودياناته، واتجاهاته المختلفة؛ وهذا لا يعني أنّنا نرفض إنتاج الآخرين بالمطلق فنفعه أكثر من ضرّه إذا ما أحسنّا الاختيار، دون أن ننسى "التطوّر الحضاري الحديث والتقدّم الضّخم في التّكنولوجيا، وتطبيقات العلم، ووسائل الإعلام بصفة خاصّة والتّلفزيون بصفة عامة... كل هذا لا يترك الأطفال لمراحل نموّهم الطبيعية ويحدث تأثيرات تختلف باختلاف الظّروف والبيئات ودرجات التقدّم والاتصال"[6]. فعصر التّقنيات هذا، قلب كلّ الموازين رأسا على عقب حيث أثّر في الحياة الاجتماعية وغيّر في القيم الثّقافية فضلا عن الخصائص النّفسية للنّاس والعادات والتّقاليد وفي كثير من المفاهيم ، وطبعا لم تسلم الطّفولة بمراحلها المختلفة من ذلك؛ غير أنّ الأمر لا يسلب للطّفولة أهمّيتها، ولا يقلّل من ضرورة دراسة مراحلها، ومعرفة خصائصها المتنوّعة.

1- تعريف الطّفولة ومفهومها

1.1 – الطّفل والطفولة في رحاب اللّغة:

تختلف كتب اللّغة قديمها وحديثها في تعريف مادّة (طفل) فجاءت جلّها متقاربة في المعنى شكلا ومضمونا مع اختلاف في استخدام اللّفظ.

ففي لسان العرب تفصيل للأصول اللّغوية لمادّة (طفل) وممّا يذكر والطِّفلُ والطّفلةُ: الصّغيران. والطِّفل: الصّغير من كلّ شيء... ولا فعل له. والعرب تقول: جارية طِفْلةٌ وطِفْلٌ، وجاريتان طِفلٌ وجوارٍ طِفلٌ، وغلام طِفلٌ، وغلمانٌ طِفلٌ والطِّفل: المولود وولد كلّ وحشية أيضا طفلٌ ويكون الطِّفلُ واحداً وجمعاً... والطِّفْل: الصغير من أولاد النّاس والدّواب وأطفلت المرأة والظّبية والنَّعم إذا كان معها ولدٌ طِفلٌ[7].

وقال لبيد في معلقته في هذا المعنى:

فَعَلاَ فروعَ الأيهقَان، وأطْفَلَتْ بالجهلتين ظباؤها ونعامها[8]

أمّا في مقاييس اللغة: (طفل) الطّاء والفاء واللاّم أصل صحيح مطّرد ثمّ يقاس عليه، والأصل المولود الصّغير؛ يقالُ هو طِفلٌ، والأنثى طِفلةٌ. والمِطْفِلُ: الظّبية معها طِفْلها، وهي قريبة عهد بالنِّتاج. ويُقال طفَّلْنا إبلَنا تطفيلاً إذا كان معها أولادها، فرفقنا بها في السّير، فهذا هو الأصل. وممّا اشتُقّ منه قولهم للمرأة النّاعمة: طَفْلة، كأنّها مشبّهة في رطوبتها ونَعمتها بالطِّفلة، ثمّ فرّق بينهما بفتح هذه وكسر الأولى[9].

وجاء في مختار الصحاح: (طفل) الطِّفْلُ المولود وولد كل وحشية أيضا طِفْلٌ والجمع أطفالٌ وقد يكون الطّفل واحدا وجمعا مثل الجُنُب...يقال منه أطفلت المرأة والطَّفَل بفتحتين مطرٌ، والطّفيليّ الذي يدخل وليمة لم يُدع إليها[10].

وعلى شاكلة ما سبق وردت لفظة (الطّفل) في المصباح المنير:(الطفل) الولد الصّغير من الإنسان والدّواب، قال بن الأنباري: ويكون الطّفل بلفظ واحد للمذكّر والمؤنّث والجمع...ويجوز المطابقة في التّثنية والجمع والتّأنيث فيقال: طفلة وأطفال وطفلات وأطْفلت كلّ أنثى إذا ولدت فهي مُطْفِلٌ قال بعضهم ويبقى هذا الاسم للولد حتّى يميّز ثمّ لا يقال له بعد ذلك طفلٌ بل صبيٌّ وحزوّرٌ ويافعٌ ومراهقٌ وبالغٌ، وفي التّهذيب يُقال له طفل إلى أن يحتلم[11].

وممّا ورد في القاموس المحيط: الطِّفْلُ: الرَّخْصُ النّاعم من كلّ شيء ج: طِفال وطُفول، والطِّفل بالكسر الصّغير من كلّ شيء، أو المولود، وولد كل وحشية أيضا... وطَفَلَ الكلام تطفيلا: تدبّره، وطفل اللّيل: دنا، وطَفَلَتِ الشّمس: دنت من الغروب[12].

وورد في فقه اللّغة للثّعالبي ترتيب لطيف لسِنّ الطّفل إلى أن يتناهى شبابه: يقال للصّبي إذا وُلِدَ رضيع وطِفْلٌ، ثمّ فطيمٌ، ثمّ دارجٌ، ثمّ حفرٌ ثمّ مُطبَخٌ، ثمّ كوكبٌ. ومما ورد فيه أيضا: مادام في الرّحم فهو جنينٌ، فإذا ولد فهو وليدٌ، ومادام لم يستتم سبعة أيام فهو صديغٌ، ثمّ مادام يرضع فهو رضيعٌ ثمّ إذا قُطِعَ عنه اللّبن فهو فطيمٌ، ثمّ إذا غَلُظ وذهبت عنه تَرَارَةُ الرّضاعِ فهو جَحوُشٌ...ثمّ هو إذا دبَّ ونمى دارجٌ، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو حماسيٌّ فإذا سقطت رواضعه فهو مثغورٌ، فإذا نبتت أسنانه بعد السّقوط فهو مُثَغِرٌ فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافعٌ ومراهٍ...[13].

ولم تجِد المعاجم الحديثة والمعاصرة في تعاريفها اللّغوية للفظة (طفل) عن المعاجم التّراثية، ففي معجم اللّغة العربية المعاصرة: طِفْلٌ[مفرد] ج أطفال: ولدٌ صغيرٌ يتراوح عمره بين الولادة والبلوغ. وطفولة[مفرد]: فترة ما بين الميلاد والبلوغ[14].

وفي المنجد في اللّغة والأعلام، ورد تفصيل مستطرد نقتطف منه: الطِّفْل: جمع أطفال، مؤنّثه طفلة، الصّغير من كلّ شيء، يُقال:(هو يسعى لي في أطفال الحاجات) أي في ما صغُر منها. يقال (جارية طفل وطفلة) وقد يكون الطّفل واحدا وجمعا لأنّه اسم جنس. ريحٌ طفلٌ: ليّنة الهبوب. ويقال: (تطايرت أطفال النار) أي شررها، والطّفالة والطّفُولية والطّفُولة: حالة الطِّفْلِ[15].

كما ورد في المعجم الوسيط، فضلا عما سبق: طَفِلَ النبات- طَفَلاً: أصابه التّراب فأفسده ولم يطل. طفُلَ- طفولة، وطَفَالة: نعُم ورقّ. المطفِلُ: ذات الطِّفْل من الإنســان والحيوان. و ليلةٌ مُطْفِلٌ: تقتل الأطفال من شدّة بردها[16].

2.1 - الطّفل والطفولة وإشكالية المصطلح:

يُطلق عادة اسم الطّفل على المستوى العلمي الطبّي، أو في العلوم الإنسانية على فترة حياة معينة من حياة الإنسان، وهي الفترة الممتدة منذ أوّل ولادته وخروجه من طور الجنين داخل رحم الأمّ حتّى بلوغ سنّ الثّامنة عشر كما هو متعارف على تحديدها عالمياً، رغم أنّ البعض يعتبرون أنّ سنّ الطّفولة ينتهي حال وصول الشّخص أنثى أو ذكراً لطور البلوغ الجسدي بظهور العلامات الدّالة عليه، وقيل هو كلّ إنسان لا يزيد عمره على أربعة عشر عاما وقد حدّدت الاتفاقيات الدولية حول حقوق الطّفل، بأن هذه الاتفاقية تعنى "بكلّ إنسان لم يتجاوز الثّامنة عشر من عمره، باستثناء الشّخص الّذي يبلغ الرّشد قبل هذا السّنّ، بموجب القوانين النّافذة في كل بلد"[17] أي أنّ مرحلة الطّفولة تمتدّ حتّى سنّ الثّامن عشر من عمر الإنسان، مقيّدة في هذا الحصر بالنّضج البدني دون اعتبار للنّضج العقلي والنّفسي والوجداني.

ويرى آخرون أنّ الطّفولة، معنى جامع يضمّ الأعمار ما بين المرحلة الجنينية ومرحلة الاعتماد على النّفس، ويرون أنها تَعْبُرُ بالفرد من حال العجز والاعتماد على الآخرين عند الميلاد إلى المرحلة الفارقة التي يُتاح عندها قِسطٌ لاعتماد الفرد على نفسه واضطلاعه بنشاط إنتاجي وابتكاري فعّال لاستعداداته وقدراته الشّخصية، وممّا يتوافر له في مجتمعه، من متطلّبات التّطبيع الاجتماعي، والتّربية والرّعاية الصّحّية وغيرها، وهذا يعني أنّ طول مرحلة الطّفولة يتفاوت من جيل إلى جيل، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، طبقا لمتطلّبات ونوعيّة الحياة، في بيئة الفرد وما يحيط به من ظروف خاصة[18] كالبيئة الرّيفية، والبيئة الحضرية، والحياة البدائية، والحياة الصّناعية وغيرها.

بيد أنّ بعض التّربويين يرون أن الطّفولة هي: "المرحلة التي تشمل أولئك الذين لم يتجاوزوا السّادسة عشرة من أعمارهم، أو أنّها المرحلة الممتدّة من الولادة إلى ما قبل المراهقة"[19]كما تُعرّف الطّفولة من وجهة نظر علماء الاجتماع، على أنّها تلك الفترة من الحياة الإنسانية التي يعتمد فيها الفرد على والديه، اعتمادا كلّيا فيما يحفظ حياته ففيها يتعلّم ويتمرّن للفترة الّتي تليها وهي ليست مهمّة في حدّ ذاتها، بل هي قنطرة يعبر عليها الطّفل حتّى النّضج الفسيولوجي

والعقلي والنّفسي والاجتماعي والخلقي والرّوحي والتي تتشكّل خلالها حياة الإنسان ككائن اجتماعي[20] باستطاعته التّكيف في مجتمعه.

وهناك من الباحثين من نظر إليها من زاوية البعد الجغرافي، وتأثير العوامل البيئية والمناخية، وانعكاساتها على البنية الجسدية، والتّمثّل السّلوكي والتطوّر العقلي والنّفسي فتتّسع مرحلة الطّفولة وتمتدّ في بيئة، وتضيق وتقصر في بيئة أخرى، على غرار بلدان شمال الكرة الأرضية وبخاصة الباردة منها أين تمتدّ الطّفولة منذ الولادة وحتى سنّ السّادسة عشر، على عكس بلدان جنوب الكرة الأرضية وبخاصة الدّول الحارّة، فإنّها لا تتجاوز سنّ العاشرة تقريبا وقد يتفاوت الأمر حتّى في البيئة الواحدة، وذلك "نتيجة طبيعة المستويين الاقتصادي والاجتماعي للعائلة، ونوع العمل الذي يمارسه أفرادها إذ إنّ المفهوم العمري الذي تتأطّر فيه الطّفولة وسماتها في المجتمع الغنيّ غيره في المجتمع الفقير، وهو في البيئة الرّيفية غيره في المدينة، بل يخضع أيضا إلى ترتيب تسلسل الطّفل بين إخوته في الأسرة الواحدة..."[21]. وهذه الفروق تأتي من طبيعة الإنسان نفسه ومدى استعداده النّفسي؛ لأنّ "الأفراد يختلفون فيما بينهم من حيث تكوين كلّ منهم وأنّه لا يوجد أيّ فردين متشابهين تشابهاً تامّاً على الإطلاق، بل لكلّ شخص طابعه الفريد الذي يميّزه عن غيره"[22] مع الاعتبار أنّ المحيط تجاوز الوضع التّقليدي له والّذي كان يتكوّن من البيت والأسرة، والمجتمع الضيّق، إلى العالم كلّه، على ضوء الثورة التّقنية الكبيرة التي يعرفها هذا العصر، وما حوته من تدفّق لا مثيل له من المعلومات، والاعتماد فيها على النّفس بات ممكنا في قضاء الأمور من قبل الأطفال بمختلف مراحلهم وبخاصة المتأخّرة منها، حيث أصبحت المسألة مرتبطة بالوعي الفكري، أكثر من الارتباط بالشكل العضوي.

ورغم ذلك يبقى الطّفل عالما من المجاهيل المعقّدة كعالم البحار الواسع الذي كلما خاضه الباحثون، كلما وجدوا فيه كنوزا وحقائق علمية جديدة، كانت خفية عنهم، وذلك لضيق إدراكهم المحدود من جهة، واتّساع نطاق هذا العالم من جهة أخرى.

2- الطّفولة وتعليمية الأدب:

2-1- تقسيمات مراحل الطفولة

تعتبر الطّفولة الأكثر أهمّية في حياة الإنسان، إذ تمثّل نسبة لا بأس بها من عمر الكائن البشري؛ لذلك حظيت بمكانة مرموقة في الدّراسات الاجتماعية والبيئية، وباهتمام الأطبّاء وعلماء التّشريح، والتّربية والتعليم وعلم النّفس حيث رأوا أنّ الطّفولة هي المرحلة التي تتشكّل فيها شخصيّة الإنسان بتكيّفه مع البيئة المحيطة به، الأمر الذي يترك أثرا فعّالا في مقوّمات حياته عبر المراحل المتتالية، فعمدوا إلى تقسيمها بالتّوافق مع التطوّر العمري تارة، والمعرفي تارة أخرى، وقدّموا عدّة تقسيمات أخرى كان مردّ الاختلاف فيها إلى تحديد بداية كلّ مرحلة وانتهائها لتبدأ المرحلة التّالية، ثمّ تباين المعايير التي اعتمدت في هذه التّقسيمات؛ فمثلا (جان بياجيه Jean Piaget 1896-1980م) قسّم الطّفولة بالاعتماد على معيار الذّكاء إلى أربعة مراحل هي:

1- مرحلة الطّفولة الأولى، ووسمها بمرحلة الذّكاء الحسّي الحركي، وتبدأ انطلاقا من الولادة وانتهاء ببلوغ الطّفل العامين من العمر.

2- مرحلة الطّفولة الثّانية، وسمّاها مرحلة الذّكاء الحدسي، وتبدأ بانتهاء المرحلة الأولى أي من سنّ الثالثة إلى سنّ السّابعة من عمر الطّفل.

3- مرحلة الطّفولة الثّالثة، وأطلق عليها مرحلة الذّكاء المحسوس، وتمتدّ من سنّ الثامنة حتى الثانية عشرة.

4- مرحلة المراهقة، وسمّاها مرحلة الذّكاء المجرّد، وتبدأ بانتهاء المرحلة السّابقة أي من سن الثّالثة عشرة وحتّى نهاية فترة المراهقة التي تنتهي عادة في سنّ الثّامنة عشرة.

وهذه المراحل تتابع بضرورة ممارسة الذّكاء عن طريق النّشاط، ولكنّها لا ترتبط بعمر مطلق معيّن، وذلك لأنّ تسريع واحدة وتأخير أخرى، إنّما تتمّ وفقا للاختلافات البيئية ومستوى الخبرة المكتسبة.

ولفهم آلية هذا النّمو يوضح (بياجيه) فكرة تقسيمه بتمييزه بين أربعة مراحل رئيسية تطبع تكوين الذّكاء الحركي-الحسّي: فمنذ بروز الوظيفة الرّمزية التي تجعل اكتساب اللّغة ممكنا منذ سنّ الستّة أشهر حتّى بلوغ السّنتين، تبدأ مرحلة تمتدّ حتّى الأربع سنوات وتشهد نموّ الفكر الرّمزي وما قبل التّصوّري، أمّا في سنّ الأربعة حتّى السّبع أو الثّماني سنوات تقريبا فيُشَكَّل باتّصالٍ مع المرحلة الأولى، فكر حدسي يقود تمفصله التّدريجي إلى بداية العمليات الفكرية، وبين السّبع والثّماني سنوات حتّى الحادية عشرة، أو الثّانية عشرة تُنظّم العمليات الحسّية، التي تستند إلى أهداف قابلة أن تكون حدسية وانطلاقا من الحادية عشرة والثّانية عشرة، وحتّى سنّ المراهقة، يتهيّأ الفكر الشّكلي، ويتكتّل الذّكاء التّأمّلي المكتمل[23]؛ فيتحوّل عند المراهق إلى منهج تفكير جديد يصبح فيه قادرا على التّحليل الاستقرائي والاستنباطي.

ومنْ علماء النّفس من أقاموا تقسيمهم للطّفولة على أساس النّمو الجسمي للطّفل وما يعتري الطّفل فيه من تغيّرات عقلية ونفسية ولغوية، فزادوا مرحلة خامسة على التّقسيم السّابق، وتفارقوا مع (بياجيه) في حدود المراحل كالآتي:

1- مرحلة الطّفولة الأولى وتبدأ من لحظة الولادة وحتّى سنّ ثلاث سنوات، دون أن يلصقوا بها أيّ وصف.

2- مرحلة الطّفولة المبكّرة، أو مرحلة الطّفولة الثّانية، وتمتدّ من سن ثلاث سنوات وحتى سنّ ستّ سنوات .

3- مرحلة الطّفولة المتوسطة، أو مرحلة الطّفولة الثالثة، والتي تنطلق من سن ستّ سنوات وحتّى سن تسع سنوات.

4- مرحلة الطّفولة المتأخرة، أو مرحلة الطّفولة الرّابعة، وتمتدّ من سن تسع سنوات وحتّى سن الثّانية عشرة.

5- مرحلة المراهقة التي تبدأ بسن الثالثة عشرة.

نلاحظ في هذا التّقسيم أنّ كلّ مرحلة تالية تنطلق من سنة انتهاء المرحلة السّابقة في تسلسل ملمحي، بمعنى أنّ ملمح الخروج من مرحلة سابقة هو ملمح الدّخول في مرحلة تالية، وهو الأقرب إلى نظريات التربية الحديثة القائلة بتداخل مراحل الطّفولة عكس تقسيم (بياجيه) الذي يضع حدودا لكلّ مرحلة، ومردّ ذلك كما ذكرنا سابقا إلى المقاييس المعتمدة في بناء كلّ تقسيم.

وهناك من قسّم مراحل الطّفولة على أساس مراحل التّربية، ونظر إليها من باب الأحكام المتعلّقة بها، أي بنظرة دينية إلى مرحلتين اثنتين:

1- مرحلة الطّفولة دون سنّ التّمييز، وانطلقوا فيها من الولادة، حتّى السنة السّابعة تقريبا ووصفوها بمرحلة ما قبل المدرسة.

2- مرحلة الطّفولة في سنّ التّمييز، وتمتدّ من السّابعة إلى ما قبل سنّ البلوغ وهي المرحلة التي يكون فيها الطّفل قد التحق بالمرحلة الابتدائية ثمّ المتوسّطة[24].

واجتنابا لجدلية هذا الاختلاف في التّقسيم، سنعمد إلى التقسيم الثاني في هذه الدّراسة، وهو التقسيم التربوي النفسي كما أشرت في موضع سابق، لأنّه الأصلح للتوأمة بينه والثّقافة الطّفلية. غير أنّي سأحجب المرحلة الأولى؛ لأنّها لا تعنيني في هذه الدّراسة، وكون ما يناسب هذه المرحلة هو أدب الهدهدة والترقيص .

2.2 – أدب مرحلة الواقعية والخيال المحدود:

ويسمّيها البعض مرحلة الإيهام الخيالي، وتمتدّ من سنّ الثالثة إلى سنّ السّادسة تقريبا، وفيها يتباطأ النّموّ الجسمي بعض الشّيء، بعد تميّزه بالسّرعة في ما قبل هذه المرحلة، تاركا المجال للنّمو العقلي الذي يتسارع ويتزايد، وفيها يصبح الطّفل قادرا على استخدام حواسّه لمعرفة ما يحيط به في بيئته المحدودة في البيت والشّارع، وما قد يراه فيها من حيوانات ونباتات "وعالَم الطّفل في هذه المرحلة، عالَم ضيّق؛ إنّه الأم والأب والإخوة، وبعض معارفه من الجيران والأقارب، والباعة الّذين يتجوّلون في محيطه، والدّمى التي يلعب بها، والملابس التي يرتديها، والطّعام الّذي يأكله، والبيت الذي يعيش فيه، والحيوانات الأليفة التي تحيا قريبا منه "[25] بالإضافة إلى ما يراه ويسمعه ويحسّ به من مؤثّرات جوّية وظواهر طبيعية مثل: البرد، الحرّ، المطر، الثّلج، الشّمس والظلام...

وفي هذه المرحلة يكون "خيال الطّفل حادّا، وإن كان محدودا بما في بيئته المحيطة به، وقوّة الخيال هذه تجعله يتخيَّل الكرسيّ قطارا، والعصا حيوانا والوسادة كائنا حيًّا يتبادل معه الأحاديث..."[26]وخيال التوهّم هذا، هو الّذي يجعل الطّفل في مرحلة الواقعية يقبل بشغف على الأدب الذي تتكلّم فيه الحيوانات والطّيور، ويتكلّم فيها الجماد.

كما تتميز هذه المرحلة بالذكاء الحدسي حسب (بياجيه) وهو يعني لديه المعرفة المباشرة للشّيء دون تدخّل العقل أو المنطق أو البرهان، فالطّفل رغم تطوّره عن مرحلة الطّفولة الأولى(مرحلة ما قبل القراءة) في جوانب عدّة حيث تتّسع لغته شيئا ما، ممّا يمكّنه من الاتّصال ببعض جوانب الحياة، باحتكاكه بالآخرين، الأمر الذي يجعله يحقّق قدْرا لا بأس به من الاندماج الاجتماعي، لكنّه "يبقى عاجزا عن تقديم البراهين والأدلّة لإثبات رأي أو فكرة، أو لإقناع الآخر بما يقول أو يريد، وإنْ كان يحاول أن يؤكّد أحيانا ولكن دون إثبات أو تحليل منطقي، أو إدراك العلاقات المتبادلة أو العكسية التي تتّضح في ترتيب الأشياء، أو إعادة ترتيبها"[27].

ومن مزايا هذه المرحلة، وضوح التّصوّر الذّهني لدى الطّفل، حيث يصبح بمقدوره أن يفكّر، ويفهم بعض الرّموز والمعاني القائمة في اللّغة والكلام حتّى وإن كان (بياجيه) لم يقيّد هذه الميزة بمستوى معين من التّحقّق واكتفى بجعلها نتيجة للنّمو الذّهني التّدريجي في مراحل معينة[28]، وهنا لابدّ من الحرص على استثمار هذا النّمو في الاتّصال المباشر بالقرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف والأدعية والأذكار والأناشيد.

وتوصّل (جون واطسون John b. Watson 1878-1958م) زعيم المدرسة السلوكية في علم النّفس، بعد دراسة مئات عديدة من الأطفال إلى رأي يؤكّد فيه على أنّه بإمكاننا أن نقوّي شخصية الطّفل أو نحطّمها قبل أن

يتجاوز السّنة الخامسة من عمره[29] على اعتبار أنّ السّنين الخمس الأولى من حياة الطّفل هي فترة استقرار الأسس التّربوية القاعدية، وما يُجنى بعد هذه الفترة هو ثمار لأزهار تفتّحت في الأصل خلال هذه السّنوات.

ويمكن لفكرة عدم إدراك الطّفل للعلاقات المتبادلة أو العكسية، أن تضيء طبيعة الفنون الأدبية الّتي تتناسب وأعمار الأطفال في هذه المرحلة فالقصيدة الشعرية أو الأنشودة مثلا الّتي تتلاءم مع التّطور الذّهني لهذه المرحلة تكون ذات فكرة واضحة بسيطة، بعيدة عن التّركيب وتعقد العلاقات الفنّية كما أنّ القصّة الّتي تتكوّن من أكثر من علاقة، لا تتلاءم وهذه المرحلة، كون طفل هذه المرحلة لا يمكنه استيعاب أكثر من علاقة واحدة، إذ يسهل عليه تصوّر مواقفها، وفهم مغزاها .

وعلماء النّفس والتّربية والتعليم في تتبّعهم لمراحل النّمو في مختلف جوانبه، وقفوا على أنّ هناك بعض الخصائص النّفسية التّي لو أشبعتها الأغنيّة الطّفلية أو الأنشودة المدرسية وحتّى القصّة، لشدّت الطّفل واجتذبته إليها، ومن هذه الخصائص: "الاحساس بالافتقاد والاستعادة، فالطّفل مرتبط بأمّه لقربها منه ويحزن لبعدها عنه، ويُسرّ إذا عادت إليه، فإذا ما قدّمت له القصّة التّي تتضمّن افتقاد شيء ثمّ استعادته، فإنّها سوف تُدخل البهجة على نفسه، وبالتالي يستوعب ما فيها من أهداف أخلاقية إسلامية يناسب مستواها هذا السّن"[30] فضلا على استمتاعه بما فيها من لمسات فنّية جمالية تتّصل بتنامي الأحداث والتّشويق وغيرهما.

وقد أكّدت أبحاث (بياجيه) على تميّز أطفال هذه المرحلة بإحيائية المادة الجامدة "فالطّفل في هذه السّنّ لا يجد خطّا فاصلا واضحا بين ما هو جامد وما هو حي؛ وبما أنّه يبحث عن فهم العالم الغامض المحيط به يأمل أن يجد جوابا يتناسب مع قدرات فهمه، وإيقاظ تفكيره"[31]. فالطّفل في هذه المرحلة العمرية، وحسب تصوّره فهو يتجاوز الشّعور والتّفكير لدى الحيوانات إلى كونها تتكلّم، فهو كالشّاعر في انسجامه معها بخياله الإيهامي، حيث يجعل الطّبيعة ناطقة، ويستطيع الانسجام والتوحّد والحوار مع كل ما يحيط به ويسقط روحه مع كلّ ما له علاقة به، غير أنّه يتميّز بقصر مدّة الانتباه ممّا يوجب أن يكون الفنّ الأدبي الموجّه له قصيرا في حوادثه، وسريعا في وقوعه وذا نهايات سعيدة ومفرحة وممتعة، لأنّه مازال غضّا ويحتاج إلى لمحة التّفاؤل، والثّقة في المستقبل والطّمأنينة للحياة الّتي لا يعلم غيبها، دون تخويفه من الغيب، كما يجب في اختيار أو كتابة الفنّ الأدبي الموجّه له مراعاة البيئة واختلافاتها وتجنّب كل ما هو مثير.

وبناء على ما سبق: يمكن أن نستشفّ الخصائص المميّزة لهذه المرحلة والّتي يمكن على ضوئها تحديد المادّة الأدبية التي تناسب الطّفل في هذه السّن ومنها:

1- التّطوّر السّريع في اللّغة، والاهتمام بموسيقى الكلمات، والاستمتاع بالجمل المنغومة والافتتان بالسّجع والوزن حتّى وإنْ كانَا دون معنى، والشّوق إلى سماع التّكرار الموسيقي للجمل والكلمات المعادة. ومن ثمَّ تستهويه الأغنيات والقصص الشّعرية المسجوعة ذات الوزن الموسيقي الخفيف، لأنّ استمتاعه عادة ما يكون من أجل الأصوات والأنغام الّتي تحدثها الموسيقى دون الاهتمام بالمعاني الّتي مازال لا يدرك كنهها بعد، ومن أجل حبّه للتّكرار يتوق إلى سماع وترديد ما يفضّله من أشعار وقصص، عدة مرات، دون ملل أو كلل.

2- الشعور باللذّة عند سماع جمل تشاركه في الأنشودة أو القصّة، باستعمال الأسماء المألوفة لديه، واستخدام اللّمس والشّم وبقية الحواس، لأنّها توضّح الصّورة في ذهنه.

3- النّشاط المتواصل دون إحساس بالتّعب، وقصر مدة الانتباه، وعليه تكون المادة الأدبية في شتى أشكالها قصيرة تُحكى أو تُسمَّع في جلسة واحدة.

4- الطّفل في هذه المرحلة يتميّز بخاصّية حبّ النّفس، ومن ثمَّ يميل إلى المادّة الأدبية الّتي تؤكّد ذاته، ويستمتع بالحكاية أو القصّة الشّعرية الّتي يستبدل فيها اسمه الخاص باسم من أسماء الشّخصيات سواء كانت حيّة أو جامدة .

5- في هذه المرحلة يبني الطّفل مدركاته وتصوّراته، من خلال تجاربه الشّخصية المتنوّعة وعلى ذلك تناسبه المؤلّفات الّتي تعينه على اكتشاف الأبعاد المختلفة والمنوّعة للتّصوّر الواحد أو الفكرة المفردة[32].

6- الطّفل في هذه المرحلة العمرية يتطلّع إلى معرفة العالم الّذي يعيش فيه وإلى اختيار البيئة المحيطة به، وأجلَ ذلك فهو يحبّ الفنّ الأدبي الّذي يدور حول الخبرات والتّجارب اليومية، أو كلّ ما هو مألوف لديه من شخصيات بشرية، وحيوانات مفضّلة ولُعب يلعب بها، أو ما يعيش معه في بيئته القريبة شرط أن يكون لهذه المألوفات صفات جسمية ولونية بسيطة في إدراكها والتّعرف عليها، وتكون ناطقة ذات أصوات وحركات. وإكساب هذه الشّخصيات المتنوّعة صفات التكلّم، والحركة، والشّكل واللّون فيه إشباع لرغبة الطّفل في المعرفة وحبّ الاستطلاع.

7- الاعتقاد الوهمي، هو ما يميل إليه الطّفل في هذه المرحلة، أين يأخذ خياله المحدود ببيئته في النّمو التّدريجي، فضلا عن استمتاعه بالألعاب التخيّلية كأنّ يتوهّم عصا المكنسة حصانا يمتطيه، والدّمية طفلا يحاوره ويخاصمه، وكلّ ما هو دائري مقود سيارة أو قطار يقوده، وهكذا... وهو بذلك يفتتن بالمادّة الأدبية الخيالية ذات الشّخصيات النّاطقة، سواء كانت حيّة، أو جامدة شريطة أن يكون لها امتداد في بيئته المحدودة وترمز إلى أشياء حقيقية في حياته الواقعية.

8- الأمان والدّفء العاطفي هو مطلب طفل هذه المرحلة العمرية، وأجلَ ذلك فهو يودّ دائما أن يكون قريبا من الوالدين أو من المعلّمة أثناء تلقّيه الفنّ الأدبي المقدّم له فالأغنية، أو المقطوعة الشّعرية، أو القصّة الّتي تُحكى له عند النّوم وهو قريب من الأمّ تبدأ بها خبَرَة الطّفل بالأدب في المنزل؛ ومن ثمّ لابدّ أن يسودها العدل، وأن تكون نهايتها ممتعة وسعيدة[33] .

9- قيل في هذه المرحلة أنّ الأطفال يفكّرون بأيديهم وأرجلهم، أكثر مما يفكرون بعقولهم وأنّ حواسّهم دائما بين أيديهم، نتيجة ميلهم إلى المحاكاة والتّقليد والتّمثيل، فيمثّل ما يسمع من قصص، ويتقمّص شخصيات النّاس الّذين يستغرب أعمالهم وأشكالهم، وهذا يستدعي بالضرورة دفع الأطفال إلى التّمثيل والخطابة والرياضة واللّعب وتنمية الهوايات الحركية[34].

10- في وسط هذه المرحلة يبدأ الطّفل في محاولة الاستقلال عن الكبار، ولذلك فهو في حاجة إلى أدب يساعده على أن يوائم نفسه مع الخبرات الجديدة والمخيفة أحيانا في الحياة البعيدة عن الأسرة، والأدب الطّفلي بكلّ فنونه وإن كان مألوفا يفسّر العناصر المحيّرة له في محيطه الخاص. وطريقة تركيب هذه الفنون الّتي تفسّر خلفية الشّعراء والكُتّاب، غالبا ما تقدّم الإجابة عن الاستفسارات غير المنطوقة للعلاقات الغامضة التي يجدها الطّفل بعيدا عن دَيدنه الأسري.

11- وأكثر أهمّية من ذلك كلّه، هو الرّاحة الّتي يقدّمها أدب الطّفل المختار بحكمة لأطفال هذه المرحلة، ذلك؛ لأنّهم حين يقارنون أنفسهم بشخصيات يدركون أنّهم ليسوا وحدهم الّذين يخافون أو يتألّمون، أو يصيبهم القلق والجزع[35].

وحتّى نقدّم لأطفال مرحلة الواقعية والخيال المحدود أدبا يساعدهم ويعينهم على التّعرّف على البيئة التي يعيشون فيها، ويساعدهم في نموّهم العقلي واللّغوي والعاطفي والاجتماعي، لا بدّ أن نكون وبكلّ أطيافنا على بيّنة من السّمات الأساسية التي يتميّزون بها وهم في هذه المرحلة من أطوار حياتهم، ومعرفة علاقتهم باللّغة، إذ هي علاقة إنتاجية استمرارية، ولها أكثر من مصدر، وهي واحدة من وحدات التّعبير الّتي يتعامل معها الطّفل، فضلا عن أنّها بوتقة فيها تنصهر خبرات وتجارب الطّفل، غير أنّه إذا صارت اللّغة فنّا، وتعبيرا فنّيا، فإنّها حينئذ يجب أن تتّفق ومرحلة الطّفل النّفسية والاجتماعية، والعقلية، والوجدانية وسماع الخرافات، وقصص الحيوانات والطّيور والرّقص الجماعي، والموسيقى المصاحبة للرّقص، والغناء، والأناشيد، ،وأن يكون الصّوت هو الوسيلة، التي يقدّم بها أدب الطّفل لأبناء هذه المرحلة، ويمكن لبعض الوسائط أن تلعب دورا هامّا في إحداث نوع تأثيري فتتحقّق استجابة الطّفل، ويتلقّى هذا بوعي كامل وحسّ متفتّح، وفي هذه المرحلة ينبغي الاهتمام بأدب الطّفل؛ ليُقدّم في أطر مختلفة بحيث يمكن الجمع بين الصّورة ، والصّوت، والرّسم[36].

إنّ الطّفل في هذه المرحلة "يصاغ عقليا، ووجدانيا، ونفسيا، بأثر من أدب الطّفل الّذي يحتلّ أهمّية كبرى؛ لأنّه بمثابة المؤثّر الوحيد والوسيط الأكثر إيجابية، للرّبط بين الطّفل والعالم المحيط"[37] أي أنّ الأديب الذي يكتب للطّفل إذا كان على دراية بخصائص مرحلة الطّفل النّمائية، ومتفاعلا مع مطالبه النّفسية، وملمّا بحاجات نموّه المختلفة وصادقا كلّ الصّدق فيما يكتبه أو ينظمه للطّفل، فإنّه سوف يساعده من خلال فنون أدبه على فهم كنْه اللّغة والتمتّع بها في شكلها، ومضمونها، وأساليبها، وتذوّقها، والنّتيجة أنّ الطّفل إذا ما فهم اللّغة وتذوّقها، فإنّه لا محالة سيميّز بين الغثّ والسّمين في الأدب الموجّه له، من نشيد، أو أغنية، أو قصة، وهو أسمى درجات النّمو اللّغوي وبذلك يرهُف حسّه، وتنمو عنده الدّقّة في الملاحظة والإدراك، والقدرة على الانتباه للأحداث، وعلاقاتها ببعضها.

وفي آخر مرحلة الواقعية والخيال المحدود يجب العمل على تهيئة الطّفل للمرحلة التّالية من مراحل حياته، بتوسيع خيالاته وبيئته، وإعداده نفسيا واجتماعيا لها، وتشجيع مختلف اتّجاهاته الاستقلالية، وإمداده بمختلف الخبرات وعموما فإنّ الإيقاع والحركة السّريعة، واللّون، والصّوت أدوات تغني بشكل أو بآخر مضامين الأدب الموجّه للأطفال وتزيد من ولعهم به.

3.2- أدب مرحلة الخيال المنطلق:

وتعرف بمرحلة الطّفولة المتوسّطة، أو الخيال الحر، وتمتدّ من سنّ السّادسة إلى سنّ التّاسعة تقريبا وتشغل هذه السّنوات مركزا هامّا في عملية النّمو الإنساني وخطّتها المرسومة بالفطرة، وهي سنوات استكمال واستتمام، ولا يمكن فهمها إلا بدلالة المرحلة السّابقة، التي تمدّ جذورها فيها صوب مستقبلها.

إنّ هذه المرحلة حسب رأي علماء النّفس تعوزها الحيوية الأخّاذة الّتي تتميز بها المرحلة الّتي تسبقها من جهة، والمرحلة التي تليها من جهة أخرى "ومن ثمَّ استخفّ العلماء بهذه الفترة فأعملوا فيها الحذف والاقتضاب ويبدو في

المؤلّفات الخاصة بها نزوح إلى التّعميم عنها دون تمييز لما في ثناياها من فوارق عمرية "[38] فأخفوا هذه الفوارق في عمليات النّمو وتجاوزوا عنها، رغم أهمّية تغيّراتها الدّقيقة، وحجّتهم في ذلك أنّ النّمو فيها لا يسير على خطّ واضح.

وبداية هذه المرحلة هي سنّ سكون وقرار "فالطّفل يظلّ فترة قصيرة في حالة تواؤم متّزن مع كلّ من نفسه وبيئته حتّى لَكأنّ مشكلة نموّه قد خلت ولكن دَفعة النّمو وضغط المطالب الثّقافية يخلقان توتّرات جديدة، وقد تكون هذه المطالب في بعض الأحايين مفرطة في الكثرة، وكأنّ الثّقافة مصرّة على وضع يدها على الطّفل وامتلاكه، وكأنّما هو من ناحيته مصمّم على تمثل تلك الثقافة..."[39] ومع ذلك تبقى الموازنة ليست سهلة بين نفس الطّفل وبيئته؛ نظرا لتشعّب هذه الأخيرة.

إنّ طفل السّادسة من هذه المرحلة يكون في طور ذي قطبين، حيث يحاول اكتشاف نفسه وبيئته الجديدة في ذات الوقت، والتّوفيق بين القطبين يفضيان إلى أنواع من التوتّر والتردّد، أمّا طفل السّابعة فهو أقلّ تقلّبا وأملك لنفسه، وأكثر مقدرة على استيعاب تجاربه الأدبية الجديدة، وهو أعظم قدرة على تنظيمها؛ وبمقدوره إنشاء علاقات متينة وثابتة وهو على أبواب التّعليم الرّسمي وبذلك يكون أدنى إلى وحدة القطب بنموّه اليومي في كيانه العقلي أي أنّه في طور استيعاب وتمثّل؛ أما طفل الثّامنة تبدو في ميزانية الوارد والصادر عنده أنواع جديدة من التّوازن، فهو قد شاد لنفسه بِناءاً من التّجارب أشدّ رسوخا وأصبح في مستطاعه أن يعطي مثلما يأخذ، وهو يبدي قدرا أكبر من التّلقائية في انطلاقه لمواجهة مطالب البيئة المحيطة به.

إنّ الطّفل الّذي كان في المرحلة السّابقة يتخيّل عصا المكنسة حصانا يمتطيه بمسكها ووضعها تحت ساقيه مشمّرا على ساعديه وكأنّه الفارس الشّجاع، ويتخيّل كلّ ما هو دائري على غرار غطاء القدر مقودا لسيّارته أو قطاره، لافّاً به ذات اليمين وذات الشّمال، والّذي كان يتخيّل الدّمية والوسادة كائنين حيّين يحادثهما ويخاصمهما كصديقين انتقل إلى مرحلة جديدة، هي مرحلة الخيال الحرّ المنطلق. إنّه في هذه المرحلة "يُظهر رغبة حقيقية في ركوب الحصان، وقيادة السّيارة، ومحادثة رفاق حقيقيّين، أي أنّه يتحوّل من ذلك الخيال المحدود ببيئته، إلى الواقعية في خيالاته غير المحدودة، متجاوزا اللّون الإيهامي، إلى اللّون الإبداعي، أو التّركيبي الموجّه إلى غاية عملية"[40].

فالطّفل بعد مروره بتجارب عديدة في بيئته المحدودة، وتخطّيه ذلك العالم الضيّق إلى عوالم أخرى، فإنّه يرسم لها في ذهنه الكثير من الصّور؛ هذه العوالم تعيش فيها ما يسمّى بالجنّيات العجيبة والحوريات الجميلة، والملائكة، والعمالقة والأقزام في بلاد السّحر والأعاجيب "ومما يميّز هذه المرحلة، سرعة نموّ الطّفل في خياله، وتطلّعه إلى دنيا أخرى غير دنياه، فيتبلور ولعه بالقصص الخيالية التي تخرج في مضامينها عن محيطه وعالمه، بل نجد الطّفل ينجذب للإنصات إلى القصص الخرافية أيضا بما في ذلك من قصص الجان والعفاريت"[41] أي أنّ الطّفل أصبح يتوق إلى ما وراء واقعه، وتخيّل ما وراء الظّواهر الطّبيعية الواقعية التي خبرها بنفسه، فهو ينشد غير المألوف لديه في بيئة غير بيئته.

وكما هو معروف، فإنّ طفل مرحلة الخيال المنطلق يكون في بداية هذه المرحلة قد التحق بالتّعليم الإلزامي، وأخذ اتّصاله بالمجتمع يزداد من خلال المدرسة، ولذلك نجد أنّ لدى هذا الطّفل "رغبة قويّة لمعرفة واستطلاع الحياة الحقيقية المحيطة به، وكذلك الرّغبة في معرفة النُّظم والتّقاليد، والآداب، وأنماط السّلوك المختلفة الموجودة في مجتمعه. وكلّ هذا يمكن

تغذيته وتحقيقه من خلال القراءة من كتب تُعدّ خصّيصا لأطفال هذه المرحلة، بحيث تُقدّم لهم ما يتوقون إلى التّعرّف عليه في هذه المرحلة، وبذلك تشبع رغبتهم في الاستطلاع "[42].

ويزداد في هذه المرحلة فضول الطّفل اتّساعا، فهو وإن كان لايزال يعجب بقصص الحيوانات، نجده يتّجه إلى الابتعاد عن خيال التوهّم في تعامله مع الأحياء والجمادات حيث يكبر معه حبّه لاستطلاع عوالم أرحب من عوالم مرحلة الخيال المحدود، "فهو دائم التّساؤل في موضوعات مختلفة. إنّه كالتّائه الّذي يريد أن يرشده الكبير باستمرار، ويجيبه عن أسئلته الحائرة بين خضمّ الحقائق العديدة التي يعرفها الكبار...وهنا يجدر أن يُجاب على أسئلة الطّفل إجابة واضحة وبسيطة، ودون حرج من الأسئلة المحرجة"[43] كتلك المتعلّقة بعالم المجاهيل لأنّ الأجوبة عنها ولو بطريقة ميسّرة تمنحه الثّقة.

ومن الملاحظ أن جُلّ أسئلة الأطفال في هذه المرحلة سببها المباشر هو المخاوف من أشياء لم يكن لهم بها خبرة، كخوفهم من الحيوانات المفترسة ومن اللّصوص والمجرمين، والمشرّدين، حتّى وإن لم يكن لهم اتّصال مباشر بهم، كما أنهم يرهبون من العوامل الخفية أو العوامل التي هي في منظورهم فوق طبيعتهم الواقعية كالموت والأشباح مثلا؛ فالطّفل" يسأل عن أيّ شيء وفي أيّ وقت وبأيّ كيفية ؟ ومنها: الأسئلة التي يريد منها المعرفة، كسؤاله: أين اللّه؟ ومنها: الأسئلة التي يريد منها إحراج الأبوين والمربّي كسؤاله: لماذا أنت سمين يا بابا ؟ ومنها الأسئلة الّتي تدلّ على خوفه وقلقه فيقول: هل ستموت يا بابا ؟ وغير ذلك من الأسئلة...ولكن قبل ذلك نحـذّر من الكــذب على الطّفل ولا نجيب عن أسئلته بما لا يحتمله عقله"[44].

وفي هذه المرحلة يطول مدى الانتباه لدى الطّفل ،حيث يكتسب عدّة مهارات قرائية ويستطيع الاستغراق فيها، وبخاصّة في نهاية المرحلة، وقد تصبح القراءة هواية ممتعة له "بحيث تتنوّع هذه القراءات، وهنا يصبح القرآن الكريم خاصة قصار السور والآيات المتضمّنة بعض العناصر القصصية، خير زاد يقدّم للطّفل كسورة (الفيل) و(المسد) وغيرهما بجانب نماذج الأدب الإسلامي كما يمكنه أن يتقن الكتابة، ويتميّز بحبّ الاستطلاع، وينمو خياله بحيث يصبح قادرا على التخيّل"[45] هذا الأخير الذي يصير من بين وسائل الطّفل في التّعرف على ما وراء الطّبيعة، والبيئة المحيطة به، ومن هنا يمكن أن يتقبّل ويستمع إلى بعض القصص على غرار (كليلة ودمنة) ومختارات من قصص (ألف ليلة وليلة) وحتّى بعض الأساطير المناسبة، ولكن يجب أن نخبره بأنّ هذه القصص لم تقع وإنما هي مجرّد خيال، لاسيّما حين يدفعهم فضولهم إلى معرفة حقيقة ما يُحكى لهم، أو ما يتمكّنون من قراءته. وهنا لابدّ من الحرص على أن تتوفّر لفنون الأدب الطّفلي دوافع شريفة، وغايات فاضلة وأن تكون استفادة الطّفل منها استفادة ذات انطباعات صحّية وسليمة، تحيله على حبّ الحقّ وعمل الخير والمثل العليا الفاضلة، الأمر الّذي يجعله ينفر من أعمال التهوّر كاللّصوصية والاندفاع والعدوان وتجنّب حياة التّشرّد، الّتي قد تحدث له جرّاء استماعه أو قراءته لمضمون فنّ أدبي سيّء، وبخاصّة ما يشاهده على قنوات التّلفزيون.

طفل هذه المرحلة يلعب ويلهو بمفرده، وهو "لا يشارك زملاءه في اللّعب بسهولة لذا نجد الأطفال في هذه الفترة حتّى لو كانوا في جماعة فإنّ كلاً منهم يلعب وحده وبأدواته الخاصّة، وحين يلعبون في جماعات، فإنّها قليلة

العدد...وعادة ما يلعب الأولاد والبنات معا؛ وهذا يفرض أن يُعنى أدب الأطفال في هذه الفترة بتنمية السّلوك الاجتماعي لدى الأطفال ومساعدتهم على تنظيم التّعاون والعمل المشترك"[46] .

وتتشكّل لدى الأطفال، في هذه المرحلة العمرية كثير من القيّم الأخلاقية والمبادئ الاجتماعية في التّعامل مع الآخر، حيث تتّضح الصّيغ الأدبية التي يتعامل بها الطّفل مع غيره، والصّيغ الأدبية التي يريد أن يتعامل بها غيره معه ومن خلال الأدب المناسب النّاجح، يحسّ بمشاعر البهجة والانتعاش والتعجّب ويجرّب نشوة الانتصار والتفوّق أو يتمثّل مشاعر الألم والحزن، ويدرك قساوة القهر والظّلم، والشّكل الفنّي للأغنية أو النّشيد أو القصّة بما فيه من ألفاظ مناسبة، وتراكيب بسيطة، وتكامل في الأداء الأسلوبي، وعناصر التّشويق والجذب. سواء أكان مقروءا أو مسموعا، كلّ أولئك يجعل الطّفل يطرب لما في هذا الأدب الطّفلي من نسق ووحدة وتوازن، ويستوعبها وجدانه كما يتلقّف عقله ما يستوعبه من ثقافته، ونتيجة لذلك تتبدّى ملامح تشكيله الوجداني فيما يقول من كلمات أو يسلك من سلوك، وفي استجابته للأحداث والمواقف ومختلف المؤثّرات.

ويأخذ التّفكير لدى طفل هذه المرحلة مساحته المؤثّرة؛ فينتقل في بعض جوانبه السّلوكية وحتّى المعرفية من عالم المحسوسات إلى عالم المجرّدات أو المنطق الذّهني وتصبح الموجودات تتربّع على مساحة أكثر اتّساعا في تعامله معها، فيتاح له بذلك تسمية الأشياء وتوصيفها، ووضعها في المجموعات المتشابهة، وهو أمر يمنح كاتب وشاعر ومربّي الأطفال فرصة لتقديم الكمّ المهمّ من الحقائق والمعلومات لطفل هذه المرحلة، وبخاصة ما كان متعلّقا منه بالمفاهيم السّلوكية، والقيّم، كالخير والصّدق والتّعاون والاحترام "وإذ يتأثّر الطّفل بالمحيط الاجتماعي والثّقافي من حوله، فإنّ نوعا من الإدراك لعلاقته بذلك المحيط، يبدأ بالاتّضاح عنده، حين يتأكّد له أنّه غير قادر على إشباع رغباته جميعا، وأنّ الآخرين من خارج عائلته، لا يعاملونه كما يفعل أبوه وأمّه، ولذا تتّجه بعض أفكاره وتجاربه إلى عالم المكبوتات الذي تكوَّن لديه ونشأ من بعض خبراته ومشاعره، ورغباته غير المسموح له بأن يعلن عنها كلّها لمن هم حوله ما يجعله يدفعها إلى عقله الباطن"[47]. وعلى صعيد آخر يصبح الطّفل مستعدّاً للاستماع إلى الأناشيد والتّرانيم بأكثر دقة، ويهتمّ أكثر بالصّيغ الأساسية التي تتضمّنها، وهي سمة يمكن الاتّكاء عليها، لتقديم كثير من المعارف والقيم.

وتأسيسا على ما سبق يمكن أن نستشفّ أنّ أدب أطفال مرحلة الخيال المنطلق شبيه بأدب مرحلة الخيال المحدود في مضامينه، غير أنّه يختلف عنه في عدّة أمور حيث يتراجع الخيال الإيهامي وتحل محلّه الواقعية، وينمو العقل على حساب الجسم باشتغاله أكثر، والخيال يكون أكثر حرّية، ممّا يجعله يحجم شيئا فشيئا عن التّعامل مع الحيوان والجماد، إلا بما يجب التّعامل فيه معهما ولكنّه أصبح يميزّهما عن الإنسان كونهما كانَا ناطقين في المرحلة السابقة، ولست أتبنّى بالضرورة إقلاع أطفال هذه المرحلة عن اللّعب والتّقليد والتّمثيل بل أردت الإشارة إلى أنّهم أصبحوا أكثر صدقا مع أنفسهم وأكثر أمانة في تعاملاتهم "لذا ينبغي إدخال بعض الصّفات الخُلقية النّبيلة إلى النّصوص الأدبية، وبعض المبادئ الاجتماعية المحمودة، كالتّعاون والإخلاص والصّدق وبذل الجهد، ولكن بنوع من اللّين واللّطف، حتّى لا يشعروا بثقل التّوجيه والموعظة؛ لأنّ سلوكهم في هذه المرحلة يكون مدفوعا بميولهم وغرائزهم لا بعقولهم المدركة الواعية، ومعلوم أنّ هذا

الإدراك، وذاك الوعي هما من اختصاص الكبار؛ لذا على من يكتب لهذه الفئة أن يراعي هذه المعطيات"[48] ولكي يحصل التّوافق والانسجام ينبغي مراعاة البساطة في اللّغة، وعدم استخدام الخيال المجنّح الذي يتجاوز مدارك الأطفال.

كما يجب أن تكون كتب الأطفال المتضمّنة فنون أدب الأطفال، المقدّمة لهذه المرحلة "معتمدة على أسلوب شائق وغير مباشر في تقديم المعلومات والحقائق والآداب الاجتماعية، وغير ذلك ممّا نريد تقديمه للأطفال، بحيث يرِد هذا خلال قصّة أو مسرحية أو أغنية أو نشيد، بما يخلقه المؤلّف أو الكاتب القدير من حوادث ومواقف مختلفة تبدو كأنّها مواقف وحوادث طبيعيّة لا تكلّف فيها، حتّى يخرج الأطفال منها بانطباع سليم عن الأنماط السّلوكية الصّحيحة في هذه الفترة من فترات نموّهم، وتتبلور لديهم كثير من القيّم الأخلاقية والإنسانية والمثل والمبادئ الفاضلة في تعاملهم مع غيرهم من النّاس"[49] كالمحبّة والتّعاون واحترام حقوق الغير، والمحافظة على النّظام والقانون والملكية العامة.

3.2 – أدب مرحلة الطّفولة المتأخّرة:

وتعرف بمرحلة البطولة والمغامرة، وتمتدّ من سنّ التّاسعة إلى سنّ الثّاني عشر وهو الدّور الآخر الذي يلعبه الطّفل، أين ينتقل من مرحلتيْ الواقعية بخيالها المحدود والطّفولة المتوسّطة بخيالها المنطلق، إلى مرحلة هي أقرب إلى الواقع، حيث يصير البنون والبنات على السّواء في درجة مدهشة من الاستقلالية، ويرى علماء النّفس أن أطفال مرحلة البطولة والمغامرة "يتزايد اعتمادهم على أنفسهم واكتسابهم في الوقت نفسه مشاعر جماعية قوية عميقة...واهتمام الطّفل بجماعة الأصدقاء الصّغار يساعد في عملية الانفصال عن جماعة العائلة المنزلية، وهذا جزء من طريقة النضج"[50] وعلى عكس (سيقموند فرويد Sigmund Freud 1856-1939م) الذي وصف هذه المرحلة بمرحلة الكمون التي تنشط فقط في اللاّشعور، دون أيّة إضافات في تكوين الشّخصية، يرى (بياجيه) أنّ الطّفل في هذه المرحلة يبدأ "بتعلّم المهارات الأساسية للثّقافة الّتي يعيش فيها، سواء كانت هذه المهارات هي القراءة والكتابة والحساب أو الصّيد، أو الزّراعة، أو المهارات الصناعية الأوّلية ويصرف الطّفل في تعلّم هذه المهارات جزءا كبيرا من حياته اليومية. فكلّما اكتسب قدرا أكبر من الكفاءة ومن القدرة على القيام بمهارات معينة، أصبحت صورته عن نفسه أكثر واقعية من حيث ما يمكن أن يقدّمه للمجتمع الكبير..."[51]. وعلى هذا الأساس ظهرت قيمة هذه المرحلة، باعتبارها المرحلة التي يلتزم فيها الطّفل بتقديم شيء نحو مجموعة اجتماعية خارج عالمه الأسري حيث ولأوّل مرة في حياته يتّخذ موقفا جدّيا من العمل والإنجاز، وبذلك يكون أقرب إلى ما يبديه الكبيرُ من القدرات.

هذا ويصف علماء النفس خصائص التّطور في هذه المرحلة بما يأتي:

1- تعلّم المهارات الجسمية الضّرورية لممارسة الألعاب العادية.

2- تعلّم المهارات الرئيسية التي تساعد على القراءة والكتابة والعدّ والإجراءات والعمليات الرياضية.

3- تطوّر المفاهيم الرّئيسة الّتي تساعد على ممارسة النّشاطات الهادفة.

4- تطور المفاهيم عن الذّات، بوصفها تنمو وتتطور.

5- النّمو في الجانب الأخلاقي، ومعرفة الحكم على الأشياء والأفعال من حيث الصّواب والخطأ، ومن جهة نظرة القيّم والأخلاق السّائدة.

6- تعلّم التّوافق، وتقبّل الأقران.

7- وضوح الدّور الأنثوي والذّكوري وتأديته بطريقة واضحة.

8- التمكّن من تحقيق الاستقلال الذات[52].

ويهتمّ الطّفل في مرحلة البطولة والمغامرة بالحقائق "ويشتدّ ميله إلى المقاتلة والسّيطرة والألعاب المختلفة وخاصّة الألعاب الّتي تتطلّب المهارة والمنافسة، ويسرُّه التّنقّل من مكان إلى مكان، وقد يترك المدرسة أو المنزل مغامرا مع بعض زملائه، في عمل من الأعمال التي تتطلّب الشّجاعة أو المخاطرة ولذلك نجده يعجب كلّ الإعجاب بالأبطال والمغامرين، يقرأ عنهم ويشاهد ما يصوّر بطولاتهم ومغامراتهم. ويحاول تقليدهم في بعض المغامرات الّتي يقوم بها، ويبلغ إعجابه بهم درجة التّقديس، مهما يكن موضوع البطولة أو المغامرة"[53]حتّى يصل إلى ما يسمّى (عبادة البطولة) والّتي تبلغ ذروتها في نهاية هذه المرحلة.

ويُخلِص الطّفل إلى مبادئ جماعته مهما كان نشاط الجماعة التي ينتمي إليها حتّى وإنْ تعارض هذا الإخلاص مع القيّم المقدّمة له من قبل الأسرة أو المدرسة "وهذه الجماعات إن لم تجد التّوجيه السّليم، فقد تندفع إلى المشاجرات، أو الخصومات أو الاعتداء على الآخرين، خاصة وأنّ غريزة المقاتلة تظهر بقوّة ووضوح في هذه المرحلة، ويبدو على الطّفل حبّ السّيطرة والميل إلى الأعمال التي تظهر فيها المنافسة والشجاعة، وروح المغامرة، والقيام بالرحلات المختلفة"[54]. ومن الملاحظ أنّ الأطفال في هذه الجماعات يلتقون عند أفكار متشابهة، ونظرات متقاربة عن الحياة، لذا وجب الحذر والاحتياط حول المادّة الأدبية التي تقدّم في هذه الفترة للأطفال، من خلال وسائل الثّقافة المتعدّدة، وبخاصّة تلك التي يشاهدها على شاشات التّلفاز، والّتي تدور أحداثها حول البطولات والمغامرات.

وممّا يظهر بقوّة في هذه المرحلة، هو تقبّل الأطفال آراء الآخرين الّذين يعجبون بهم، وينفرون النّفرة الشّديدة من آراء أولئك الذين لا يثقون بهم[55]، وهم يحبّون البروز ويتقمّصون شخصيات من يعجبون بهم في حركاتهم وكلامهم وتواجدهم في جماعات يجعلهم يميلون إلى التّمثيل، وإلى الممارسات التي تحفظ لهم حقّ المشاركة مع الآخرين على الرّغم من أن الطّفل مازال يحسّ بفرديته الذّاتية وفردية أعضاء جماعته، وبإمكانهم تكوين نظرات عن القيّم والمفاهيم واهتماما خاصّا بالموضوعات التّاريخية، كونها تشبع رغبتهم البطولية. وتحقّق الامكانات الثّقافية معرفية كانت أم تعبيرية حضورها، وبخاصة حين تخبر عن الفروقات الإدراكية والمهارات السّلوكية وحتّى اللّغوية في مستويات الأطفال "وتعمّق مساحة الخيال المتّسعة عند الطّفل بروز قدرة الابتكار، والخصوصية في الهوايات والميول...التي قد يصاحبها نزوع نحو تأكيد الشّخصية والرّغبة في التخلّص من وَصْفِهِ بالطّفل..."[56].

وهذه المرحلة تشدّ انتباه الطّفل إلى ما وراء الأشياء، وتغدو به إلى آفاق رحبة من الخيال، كما تعمّق له الظّاهر، وتدعوه إلى كشف كلّ ما هو باطن وخفي "كما يحاول الطّفل التّركيب، والتّجميع وتفسير كل الظواهر، وعقله حينئذ أقرب إلى الخيال، واصطناع الحلول الخرافية للمشكلات، ودور الأديب يتمثل في تقديم أدب يشبع خياله، ونَهَمَ وجدانه نحو الرّؤى الحالمة، مع أخذه بمنهج عقلاني يمجّد الفعل الإنساني بديلا لغَيْبِيَة الحلّ الخرافي، والاتّجاه به عبر أدب

قصصي، إبداعي، وغنائي للسّير في مسار الأدب الخيالي، تحقيقا للمتعة وإثراء العواطف والأحاسيس، وتقوية الخيال، ووصولا إلى معرفة عقلية، يكشف عنها هذا الأدب الخيالي، حتى يكون طريقا إليها، وفي خدمتها..."[57].

وتبلغ قدرة طفل هذه المرحلة على الحفظ والاستظهار مبلغا كبيرا، فيستطيع حفظ مختلف الحوادث التّاريخية، وبعض الحقائق العلمية، والأناشيد والأغاني وما يراه مناسبا من المقطوعات النّثرية، وتزداد قدرته على إدراك العلاقات الزّمانية والمكانية، الأمر الذي يدفعه إلى التّفكير في الأمور المعنوية غير أنّ قدرته على التّجريد والتّعميم وتكوين المعاني الكلية تبقى محدودة.

إنّ قصص المغامرات والبطولات والاكتشافات، هي القصص المرغوبة لدى أطفال مرحلة البطولة والمغامرة، فمن المهمّ الحرص على توفير الدّوافع الشّريفة أجْلَ غرس الانطباعات الفاضلة في نفوسهم، وتنفيرهم من الأعمال المتهوّرة والعدوانية، كما تمتاز هذه المرحلة بامتلاك الأطفال الامكانات التي تؤهّلهم للقراءة في مجالات متعدّدة، ويتطوّر حبّهم للقصص التي تُحكى على ألسنة الحيوانات، إلى حبٍّ للكتب التي تتحدّث عن هذه الحيوانات، وتثري معلوماتهم عنها، كما تزداد رغبتهم في معرفة المزيد عن العالم والحياة والكون في شكل تساؤلات، كما يرغبون بمطالعة القصص التي تعتمد على التّفكير والتوقّع وقصص الأسفار والرّحلات، ويمكن استغلال هذه الرّغبة الملحّة بتعريفهم بالبطولات التّاريخية وكذا المعاصرة، والأمجاد والمعارك والفتوحات، فضلا عن تقبّلهم لفهم قيّم الجمال والإيثار والأخلاق، والتّفاعل مع المجتمع بشكل أكبر كما سبق الذِّكْر، ممّا يجعلهم عناصر مؤثّرين وفاعلين، تقوم أفكارهم على القيّم السّليمة البنّاءة، ومتباعدين بذلك عن القيّم الهدّامة، والأوهام والانحرافات الّتي قد تسلك سبيلها إليهم بكلّ سهولة لسهولة التقبّل عندهم في هذه المرحلة، وهو الأمر الذي يشكّل عبئا وتحدّيا كبيرا للمربّين والمرشدين .

وفي أواخر هذه المرحلة، وبالتّقدّم في السّن، يبرز الاختلاف ويزداد وضوحا بين الإناث والذّكور في لون الأدب المتلقَّى، حيث تميل الإناث إلى قصص الجمال والعاطفة والموضوعات الأسرية والمنزلية، فيما يميل الذكور إلى المغامرات والبطولات، ولست أتبنّى الاطّراد في ذلك، لأنّه ليس هناك حدود فاصلة مانعة، كما نشير إلى أنّ وسائل الإعلام وبخاصّة المرئية منها، لابدّ أن تتعامل مع أطفال هذه المرحلة ببالغ الدقّة لخطورتها وأهمّيتها.

5.2- أدب المرحلة المثالية (الرّومانسية):

وتعرف بمرحلة اليقظة الجنسية، وتمتدّ ما بين سنّ الثّاني عشر والثّامن عشر، وهي المرحلة المصاحبة لفترة المراهقة، والّتي تظهر مبكّرة عند الإناث بما يقرب من السّنة تقريبا؛ ففي بداية هذه المرحلة يأخذ الطّفل بتجاوز حياة الطّفولة إلى مرحلة هي أشدّ حساسية وخطورة، حيث تحصل فيها تغيّرات جسمية واضحة، يصحبها ظهور القوى الجنسيّة، واشتداد الميل الاجتماعي، والنّظريات الفلسفية عن الحياة، ووضوح التّفكير الدّيني "وكثيرا ما يكون ظهور الغريزة الجنسية، أو الدّافع الجنسي مصحوبا باضطرابات وانفعالات وأزمات نفسيّة تعتَري المراهق، نظرا لأنّ الغريزة الجنسية لا تجد الاشباع المشروع عن طريق الزّواج، لتأخّر سنّ الاستقلال الاقتصادي عن سنّ النّضوج الجنسي،...بالإضافة إلى ما يحيط بالجنس منذ الصّغر من الغموض والخوف والإشعار بالخطيئة والقذارة والجرم...أو ما يحيط به من الحُجُب الّتي تجعله بعيدا عن

أي مناقشة"[58] بحيث نلاحظ أنّ الطّفل يدخل فترة المراهقة وهو لا يملك معلومات كافية، وإن امتلكها تكون ناقصة أو خاطئة، فضلا عن عمليات الكبت المشار إليها سابقا.

إنّ هذه المرحلة تعتبر منعرج التّحوّل من عالم البراءة إلى عالم الكبار حيث أنّها تتميّز بحساسيّة شديدة لدى الجنسين، فهي مرحلة البحث عن إثبات الذّات، إذِ الطّفل فيها يرى نفسه رجلا والأمر سيان عند البنت، فتزداد الرّغبة في الاستقلال، وحاجة الطّفل إلى أن يكون شيئا مذكورا، ومن ثمَّ فهو "يسعى إلى إعادة النّظر في الرّوابط التي تربطه بأهله، ورفاق طفولته، لينبذ منها ما لم يعد مُتّفِقا مع نظراته الجديدة، كما أنّه يعمد إلى مراجعة الحقائق التي كان يتقبّلها عن طيب خاطر، فينبذ ما لم ينسجم منها مع وضعه الجديد، وما يصدر إليه من أوامر والديه"[59] ومن ثمَّ نراه يتمرّد على ما يجعله يُوصف بطفل صغير.

وفي مرحلة الرومانسية يبدأ المراهق في تعلّم الكثير من المِهَمّات، وهنا لابدّ من توضيح الجانب العلمي لمرحلة المراهقة على أنها فترة رابطة بين الطّفولة بمراحلها السابقة والرّشد بشكل قاطع؛ وقد بيّن علماء النّفس متطلّبات المرحلة على النحو التالي:

1. قبول الحالة الجسمية للمراهق واكتساب دور الذّكر أو الأنثى.
2. تحقيق الاستقلال العاطفي عن الوالدين وغيرهما من الرّاشدين.
3. الاستعداد للدخول في مهنة.
4. تكوين المهارات والمفاهيم المعرفية اللاّزمة للكفاية الاجتماعية.
5. فهم وأداء السّلوك الاجتماعي المسؤول.
6. الاستعداد للزّواج وتكوين أسرة[60].

فإذا ما تقرّرت هذه المطالب فإنّ طفل هذه المرحلة، سيرسم في الحياة دورَه، ويحدّد فيها أهدافَه ويوضّح مسارَه، وحينذاك سيكرّس لا محالة مفهوم الاعتماد على النّفس ومواجهة الصّعاب، وليس بالضّرورة إماتة العاطفة نحو الأسرة ، لأنّه أمر غير معقول إنْ لم يكن هدّاما، فضلا على قدرته على فهم كنه المستقبل ووضعه المعيشي والاقتصادي، بامتلاكه عقلية المقارنة بين المهن لاختيار ما يناسب ميوله ومكتسباته ومن ثمّ يتكيّف مع العلاقات الاجتماعية وينسجم مع المجتمع، ليصل في الأخير إلى أن يكون رجلا مسؤولا عن أسرة ويمارس دور التّربية كما مُورست أدوارها عليه.

مادام الأمر كذلك "كان لزاما على الأديب الذي يكتب لفئة أطفال المرحلة المثالية أن يراعي جوانب عديدة في كتاباته؛ منها: الجنوح إلى العاطفة بنوع من الذكاء؛ لكي لا يكون هذا النوّع من الأدب المشجّع على إطلاق العنان لسيل من العواطف المشحونة الّتي تتحوّل معها الأمور إلى الدّخول في مغامرات جنسية غير محدودة العواقب...ولذا ينبغي على الأديب الذي يكتب لهذه الفئة أن يراعي عنصر الدّين والقيّم...لأن ذلك سوف يخفّف من الحدّة الغريزية ولو بشكل من الأشكال"[61].

ويميل الأطفال في هذه المرحلة إلى أدب تمتزج فيه المغامرات بالعاطفة وتبدأ الواقعية في التنّاقص، مقابل تزايد المثالية وهي سمة المرحلة الرئيسة "وأكثر المغامرات التي يتشوّق الأطفال إليها هي الّتي تقوم ببطولتها شخصيات تتّصف

بالرّومانتيكية وخاصة تلك الّتي تواجه الصّعاب الكبيرة، والعوائق المعقّدة من أجل الوصول إلى حقيقة من الحقائق، أو الدّفاع عن قضية عادلة ويتشوّقون أيضا إلى القصص البوليسية وقصص الجاسوسية"[62]. كما أنّ طفل هذه المرحلة يتشوّق إلى الحكايات المثالية والمواقف المشرّفة، والقصص الجنسية، والموضوعات التي تعالج الخيال الممزوج بالواقع والقصص التي تستدعي أحلام اليقظة، هذه الأخيرة تجعلهم يختلقون الأقاصيص بالالتجاء إلى عالم الخيال للتهرّب من الصّراعات الدّاخلية، وما يشعرون به من نقص.

وينبغي على كاتب الأطفال مهما كان توجّهه، ومهما كان لون الأدب الطّفلي الّذي يكتبه أن لا يسفّه إحساساتهم، ولا ينال من أفكارهم على أنّها نزوات صبيانية، لأنّهم في هذه المرحلة يحتاجون إلى الخبرات التي تجعلهم يعبّرون عن أخيلتهم في تلقائية مبدعة، وهنا لا بدّ من استغلال هذه النزعة من خلال وسائط أدبهم لمناقشتهم، أجْلَ كسب ثقتهم وتوجيههم دون أن نجعلهم يشعرون بالإذلال والإحباط.

3- الخلاصة

وخلاصة القول أنّنا وبلا شكّ نتّفق والرأي العلمي القائل بأنّ مرحلة الطفولة وامتداداتها، تعتبر من أهمّ مراحل عمر الإنسان، حيث إنّها تلعب دورا هامّا ورئيسا في بناء شخصيّته مستقبلا، على أساس من مقوّمات السّلوك الصحيح وإشباع الحاجات الأساسية المختلفة، من حبّ وحنان وعطف وشعور بالأمن والأمان، فضلا عن الحاجة إلى التّقدير والانتماء والانتاج، واكتساب المهارات الأساسية لمتطلّبات الحياة، في مجتمع يسهم في تنميته، وتمثّل القيّم الدّينية والأخلاقية التي تمكّنه من التّوافق والتكيّف.

والكتابة للطّفل، قبل أن تكون موهبة، هي محصلة دراسات متنوعة، وأديب الأطفال وشاعرهم لا بدّ أن يضع في اعتباره وهو يكتب أو ينظم، مختلف العوامل التّربوية والفنّية الموافقة لكل مرحلة عمرية؛ لأنّه يتعامل "مع جمهور مختلف تماما عن الكبار؛ نظرا إلى اختلاف المستوى العمري والإدراكي والشّروط التّربوية؛ ولذا ينبغي على الكاتب أن يعرف جمهوره الذي يتوجّه إليه ويقدّم له أدبا يتوافق مع عمره وإدراكه وتفكيره... من حيث الأسلوب والمضمون واللّغة "[63].

كما يجب على كاتب أدب الأطفال أن يراعي بعض الاعتبارات في أثناء تقديمه أدبا للأطفال نذكر منها:

1. الاعتبارات التّربوية والنّفسية: إنّ الكتابة للأطفال في أصلها نوع من التّربية وكاتب الأطفال مربٍّ أساسا، قبل أن يكون قاصّاً أو شاعرا، أو رجل مسرح؛ لأنّ من يملك المعرفة بالطّفل، وقواعد التّربية السّليمة وأصول علم النّفس بإمكانه تحقيق الحبكة القصصية، والدّراما المثيرة، والحكاية المشوّقة، والخيال الشّعري الذي يمثّل قطب التّعويض في حياة الطّفل.

2. الاعتبارات الأدبية والفنّية: ونعني بها القواعد الأساسية في فنّ الكتابة بصفة عامّة في مختلف فنون الأدب الطّفلي، وكاتب الأطفال لا تغنيه الموهبة عن الدراسة؛ فشاعر الأطفال مثلا لابدّ عليه أن يمتلك ناصية قواعد علم العروض، وأوزان الشّعر وقوافيه وموسيقى الألفاظ، وأسرار الجمال الشّعري ومواصفاته الفنّية، وتكييفها مع مستوى الأطفال الّذين يكتب لهم، ودرجة نموّهم الأدبي ومدى ما وصلوا إليه من النّضج الأدبي؛ فضلا عن رسم الشّخصيات مع التّشويق والحبكة والبناء السّليم في القصص[64]. وجلي أن هذه الاعتبارات تجعل أدب الطّفل صعبا لحساسيته، ولهذا فليس بمقدور

أيّ كاتب أن يكتب للأطفال، لأنه يجب عليه أن يتحلّى "برؤى وأفكار ومعارف وقدرات خاصّة حتى يصبح مبدعا ومربّيا، وعالم نفس واجتماع ولغة في الوقت نفسه..."[65].

وتأسيسا على ما سبق يمكن رصد الشّروط التي يجب مراعاتها من قِبَل أديب الأطفال، وهو يكتب لهم على نحو يناسبهم، كمعرفة المستوى العمري والإدراكي والعقلي واللّغوي للأطفال، ونوع الأدب المقدّم لهم حسب المراحل العمرية؛ والالمام بعلم النفس عامة وعلم نفس الطّفولة خاصة؛ فضلا على أن يكون مربّيا، وممارسا لمهنة التّدريس بالإضافة إلى الدّراية بالخصائص الفنّية للأجناس الأدبية، والاستراتيجيات المختلفة لتوظيفها في إنتاج الأدب الطّفلي، والالمام بالمعجم اللّغوي للأطفال، لجعل الأدب ساحة للحوار مع الأطفال.

الهوامش والإحالات

[1]- الأسعد عمر: أدب الأطفال (د، ط) مؤسسة الورّاق للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص:07 .

[2]- ابن عبد ربه أحمد بن محمد: العقد الفريد (د، ط) ج2، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت (د، ت) ص:272 .

[3]-هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال(د، ط) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص:17 .

[4]- مفتاح محمد دياب: مقدّمة في ثقافة وأدب الأطفال، ط1، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر وكندا، 1995 ص:61 .

[5]- هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، ص:17.

[6]-أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ص:38 .

[7]-ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، مج11 (د، ط) دار صادر، بيروت (د، ت) ص:401-402

[8]-الزّوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق: أحمد أحمد شتيوي، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2009، ص:99

[9]-ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (د، ط) ج3، دار الفكر للطباعة، القاهرة، 1979، ص:413

[10]-الرازي محمد بن أبي بكر: مختار الصّحاح، ط1، المطبعة الكلية، مصر، 1329هـ، ص:430-431

[11]-الفيومي أحمد بن محمد بن علي: المصباح المنير (د، ط) مكتبة لبنان، بيروت، ص:142

[12]-الفيروز آبادي مجد الدّين محمد: القاموس المحيط، ط8، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص:1025 .

[13]-الثعالبي أبو منصور بن إسماعيل: فقه اللغة، ط1، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1999، ص:94-95

[14]-أحمد عمر مختار وآخرون: معجم العربية المعاصرة، مج1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص:1405

[15]-معلوف لويس وآخرون: المنجد في اللّغة والأعلام، ط42، دار المشرق، بيروت، 2008، ص:467-468

[16]-مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص:560

[17]- عبد الرحمن عبد الوهاب: التشريعات الوطنية والدّولية وحقوق الطّفل، مجلة الطّفولة والتّنمية، عدد2، مج1، المجلس العربي للطّفولة والتنمية، مصر:2001، ص:187

[18]-البكري طارق: مجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية،(أطروحة دكتوراه مخطوطة) جامعة الأوزاعي، الكويت 1999، ص:26.

[19]-أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال...((فن المستقبل)) ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2010ص:108.

[20]-حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الطّفل (دراسة في علم الاجتماع النفسي) ط1، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، 1992، ص:02.

[21]-أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال...((فن المستقبل)) ص:109.

[22]-محمد أبو العلا: علم النّفس (د، ط) مكتبة عين شمس، القاهرة، 1989، ص:261.

[23]- جان بياجيه: سيكولوجيا الذّكاء، ترجمة.،yalande emanuelle ،عويدات للنشر والطّباعة، بيروت (د، ت) ص:125.

[24]-الشّريف محمد بن شاكر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطّفولة حتّى البلوغ، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية الرّياض، 2006، ص:20-21.

[25]-هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) (د، ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986 ص:19.

[26]-أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ص:39.

[27]-غسان يعقوب: تطور الطفل عند بياجيه (د، ط) دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص:81.

[28]-سهير أحمد محفوظ: كتب الأطفال في مصر، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001، ص:17.
[29]-هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) ص:20 .
[30]-سعد أبو الرضا: النص الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره وسماته) ط1، دار النشر، الأردن، 1993، ص:33.
[31]-هدى قناوي: الطّفل وأدب الأطفال (د، ط) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2009، ص:151.
[32]-محمد السيد حلاوة: الرعاية الثقافية وأدب الطفل(مدخا إلى أدب الطفل) (د، ط) دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2011، ص:78.
[33]-المرجع نفسه، ص:79.
[34]-هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) ص:23.
[35]-علي الحديدي: في أدب الطفل، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1991، ص:116.
[36]-محمد السيد حلاوة: الرعاية الثقافية وأدب الطفل، ص:87.
[37]-عبد الرؤوف أبو السعد: الطفل وعالمه الأدبي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1994، ص:42.
[38]-أرنولد جزل: الطّفل من الخامسة إلى العاشرة، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد (د، ط) ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995، ص:18.
[39]-المرجع نفسه، ص:20.
[40]-هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) ص:32.
[41]-مفتاح محمد دياب: مقدّمة في ثقافة وأدب الأطفال، ط1، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر وكندا، 1995، ص:65.
[42]-مدحت كاظم وأحمد نجيب: التربية المكتبية، ط1، جمعية المكتبات المدرسية، القاهرة، 1974، ص:70.
[43]-هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) ص:33.
[44]-محمّد سعيد مرسي: فنّ تربية الأولاد في الإسلام، ج1 (د، ط) دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، 1998 ص:22.
[45]-سعد أبو الرضا: النص الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره وسماته) ص:36.
[46]-هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) ص:34.
[47]-حداد علي: اليد والبرعم، دراسات في أدب الطفل (د، ط) صنعاء، 2000، ص:26.
[48]-أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال...((فنّ المستقبل)) ص:134-135.
[49]-مفتاح محمد دياب: مقدّمة في ثقافة وأدب الأطفال، ص:67.
[50]- أرنولد جزل: الطّفل من الخامسة إلى العاشرة، ص:21.
[51]- محمد عماد الدين إسماعيل: الطفل من الحمل إلى الرشد، ط1، ج2، دار القلم، الكويت، 1989، ص:19.
[52]-أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال...((فنّ المستقبل)) ص:117-118.
[53]-هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) ص:39.
[54]-أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ص:42.
[55]-سهير أحمد محفوظ: كتب الأطفال في مصر، ص:19.
[56]-حدّاد علي: اليد والبرعم، دراسات في أدب الطفل، ص:26.
[57]-أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال...((فنّ المستقبل)) ص:118.
[58]-أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ص:44.
[59]-هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) ص:47.
[60]-عبد المجيد طعمة حلبي: التربية الإسلامية للأولاد، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2001، ص:302.
[61]-أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال...((فنّ المستقبل)) ص:135-136.
[62]-هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه) ص:48.
[63]-أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال...((فنّ المستقبل)) ص:148.
[64]-نمر موسى عبد المعطي، والفيصل محمد عبد الرحيم: أدب الأطفال، ط1، دار الكندي، الأردن، 2000 ص:73-74.
[65]-أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال...((فنّ المستقبل)) ص:150 .